البحث في السنة النبوية وعلاقته بالمحيط الاجتماعي والثقافي في الجزائر المعاصرة

د. أبو بكر كافي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة

إن السنة مصدر تشريع وعلم وحضارة ،وكان من المفترض أن يكون منها المنطلق-بعد القرآن الكريم- لمعالجة مشاكلنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الراهنة،إن على مستوى الوطن الإسلامي الكبير،وعلى مستوى الوطن الصغير، والجزائر كغيرها من الدول الإسلامية المعاصرة عرفت أزمات ومشاكل متنوعة عامة وخاصة،وقد أدلى فيها السياسيون والاقتصاديون والمثقفون- على اختلاف تخصصاتهم واتجاهاتهم- بآرائهم ،لكن للأسف الشديد نلحظ غيابا واضحا للباحث في العلوم الشرعية عموما والسنة النبوية خصوصا في الإسهام في معالجة قضايا أمته ووطنه ،بالرغم من الإمكانات المادية المرصودة، والفضاءات العلمية والبحثية المتاحة(كليات شرعية،مخابر بحث،مجلات ودوريات محكمة،ندوات وملتقيات دولية ووطنية...) فأين مكمن الخلل؟ وما هو الحل الناجع لتفعيل دور البحث الشرعي المتخصص في السنة وعلومها للإسهام الجاد في حل مشكلات الأمة والنهوض بالوطن؟.ولمعالجة هذه الإشكالية نتقدم بهذ الورقة ضمن الخطة الآتية:

تمهيد :لبيان أهمية السنة النبوية في حياة المسلمين وضرورة الاستفادة منها.

- عرض سريع حال لواقع البحث العلمي في السنة في الوطن الإسلامي عموما.
- عرض مفصّل لواقع البحث في السنة وعلومها في الجزائر(جامعة الأمير عبد القادر،وكليات العلوم الإسلامية الأخرى)
- دراسة أسباب الخلل

غياب الرؤية الواضحة والشاملة للبحث في العلوم الشرعية.

ضعف وقصور المقررات الدراسية في السنة وعلومها في مرحلة التدرج وما بعدها.

ضعف الأستاذ المدرس والمؤطر للبحوث العلمية.وضعف الباحثين وقلة المؤهلين منهم.

ضعف المجلات المحكمة والندوات وعزوفها عن البحوث الجادة.وأسباب أخرى

- **العلاج المقترح:**

تحسين المقررات الدراسية،وتعديلها دوريا بما يناسب ومستجدات العصر والمصر.

ترشيد سياسة البحث الشرعي ورسم الأهداف الكبرى له.

إعداد الباحث إعدادا متكاملا مؤهِلا.

تفعيل دور الجامعة وربطها بمؤسسات المجتمع المختلفة الحكومية منها والشعبية.

- الخاتمة وتتضمن أهم النتائج والتوصيات والمقترحات.

تهميد :بيان أهمية السنة النبوية في حياة المسلمين وضرورة الاستفادة منها.

ليست السنة النبوية مصدرا للأحكام الشرعية التعبدية فحسب ،بل هي – إضافة إلى ما سبق- مصدر مهم للحضارة والمعرفة –وهذا بمقتضى شمولية هذا

الدين[1] ،ولكن هذه القضية الواضحية والبدهية أضحت غائبة عن كثير من المشتغلين بالسنة تدريسا وبحثا وتأليفا ،فضلا عن العامة من المسلمين ،الذين لا يتميزون في نظرتهم للسنة عن كثير من أهل الاختصاص .ولهذا السبب وغيره غاب الأثر الإيجابي الفاعل للسنة في حياة المسلمين أفرادا وجماعات[2].

- عرض سريع لواقع البحث العلمي في السنة في الوطن الإسلامي عموما.

والمتتبع للبحث العلمي في السنة وعلومها، والمطلع على فهارس الرسائل العلمية وأدلتها في مختلف الجامعات والكليات الشرعية يلحظ تركيزا كبيرا على البحوث التراثية التأصيلية – وهي بالرغم من أهميتها- لا تعكس واقع المجتمعات المسلمة المعاصرة ،ولا تلبي حاجاتها المعرفية والحضارية،وهذا قصور واضح ،والتمادي فيه ،ليس له ما يبرره،وهو يكرّس العبثية في البحوث العلمية ،وقد يبرر هذا بضرورة تدريب الباحثين وتأهليهم قبل خوض غمار البحث في المشكلات المعاصرة،نعم قد يكون هذا مقبولا في أبحاث الماجستير ومذكراتها،ولكن لا يكون جديا ولا مقنعا في أطروحات الدكتوراه ،أو أبحاث ما بعد الدكتوراه-والتي يفترض فيها-بعد تأهل الباحث- الإضافية العلمية واستثمار البحث في حل مشكلات معرفية وحضارية مطروحة في عصر الباحث ومحيطه ،لا أن تكون مستدعاة من التاريخ.

- عرض مفصّل لواقع البحث في السنة وعلومها في الجزائر(جامعة الأمير عبد القادر،وكليات العلوم الإسلامية الأخرى)

وجامعة الأمير عبد القادر لا تختلف كثيرا عن باقي جامعات وكليات العلوم الإسلامية في الوطن العربي والإسلامي وبالنظر في عدد رسائل الماجستير والدكتوراه المسجلة والمناقشة إلى غاية نهاية 2007 .نتحصل على النتائج الآتية[3]:

نوع البحث	عدد الرسائل	ماله علاقة بالمحيط	عنوانها	الباحث والمشرف
الماجستير المناقشة	20	02 بنسبة 10%	الاستثمار الزراعي من خلال الحديث الشريف –دراسة حديثية مقارنة- - كفالة الأرامل والأيتام في السنة النبوية	لخميسي بزاز إشراف أد/إسماعيل يحيى رضوان - نبيل زياني إشراف أد/ نصر سلمان
الماجستير المسجلة	12	لا يوجد أي طالب ومن يسجلون هذه السنة الدراسية في شعبة السنة وعلومها بحوثهم مخصصة للدراسات النقدية والبحث في التراث المغربي		
رسائل الدكتوراه المناقشة	08	لا توجد أي رسالة		
رسائل الدكتوراه المسجلة	08	02 بنسبة 25%	الأمن–دراسة في الحديث لموضوعي- - الرفق ومظاهره في السنة النبوية	سعاد بيطاط إشراف أد/محمد خالد اسطنبولي -إعداد فتيحة بوشعالة إشراف د/مصطفى حميداتو

فمجموع رسائل الماجستير والدكتوراه المسجلة والمناقشة في الحديث وعلومه = 48 مالها منها علاقة بالمحيط 04 رسائل فقط أي نسبة 12%.وهذه نسبة ضئيلة جدا وتدل على عدم توازن في اخيار المواضيع .

فليس العيب أن نبحث في التراث أو ندرسه ونحلله ونستفيد منه ،وهو هدف وشرف وفضيلة ،ولكن العيب كله أن تقتصر أبحاثنا على التراث ولا تتعداه ،بل تظل تعيش في قضايا الماضي :تجتر مشاكله المعرفية والدينية والتشريعية،أو تبحث فيه من زاوية التقديس المفرط،والتمجيد المبالغ فيه.دون أي نقد أو فحص أو تمحيص.

- **دراسة أسباب الخلل:**

غياب الرؤية الواضحة والشاملة للبحث في العلوم الشرعية.

لعل من أبرز أسباب الخلل هو غياب رؤية واضحة ،وسياسة شاملة للبحث العلمي في ميدان العلوم الإسلامية ،على مستوى الوصاية ،وعلى مستوى الجامعات والمجالس العلمية،ومن ثم تتلون البحوث وتختلف تبعا لتوجهات المدرسين والمشرفين وتبعا لتشكيلة اللجان والمجالس العلمية.

ضعف وقصور المقررات الدراسية في السنة وعلومها في مرحلة التدرج وما بعدها.

إن ضعف المقررات في مراحل التدرج والتي تتسم بالعموم وتكديس المعارف ،وتكثير المواد والمقاييس ،مما يرهق الطالب ،ولا يفسح مجالا للمطالعة والقراءة الحرة،وهي أساس الإبداع، مما يجعل من الطالب أداة متلقية فقط،دون أي مبادرة وتفاعل مع الكم المعلوماتي المتلقى إلا بحفظه واسترداده يوم الامتحان.

فمثلا الطالب في قسم الكتاب والسنة يدرس المواد الخاصة بالحديث وعلومه وهي كثيرة والمواد الخاصة بالقرآن وعلومه،ثم مواد مكملة،وقد قمنا بتعديل يم فيه تفريع القسم إلى شعبتين :شعبة السنة وعلومه،وشعبة القرآن وعلومه.لكن لم يتم اعتماده إلى الآن.

أما مقايس ما بعد التدرج فكانت على الوتيرة نفسها بعض المواد من الحديث وعلومه ومواد في التفسير وعلومه ،والغالب أنها مواد لا تحمل

مضمونا جديدا عما أخذه الطالب في مرحلة الليسانس، وإن اختلفت المسميات.فلا يكون تكوين الباحث كافيا لا في الحديث وعلومه ولا في القرآن وعلومه.ولا يخير الباحثون إلا أبحاثا من جنس ما درسوه وتلقنوه ،أي أبحاثا تراتية مكرورة ،لبيس لها في كثير من الأحيان من هدف ولا غاية إلا حصول الطالب على الدرجة المطلوبة فحسب،

وقد تم معالجة هذا الأمر بإنشاء شعب دقيقة على مستوى ما بعد التدرج :شعبة القراءت ،شعبة التفسير وعلوم القرآن،شعبة السنة وعلومها،وقد ركزنا فيه على جانب مفقود في كل الجامعات الجزائرية ودراسة جهود المغاربة في الحديث وعلومه.وشعبة السنة في الدراسات الحديثة والمعاصرة،وهي أول شعبة تفتح في العالم العربي والإسلامي –في حدود علمنا-

غايتها استدراك النقص الواقع ،وإيجاد التوازن الغائب،وتتضمن المقايس الآتية:

منهج النقد الحديثي ومقارنته بمنهج النقد الغربي:

ضوابط فهم السنة.والغرض منه معالجة إشكالات الفهم والتطبيق للسنة في الواقع المعيش.

الإعجاز في السنة النبوية:والغرض منه تأصيل الإعجاز العلمي في السنة والضوابظ الكتابة والبحث فيه،والربط بين السنة ومعطيات العلم الحديث،وتوظيفها في خدمة الإسلام والدعوة إليه.

السنة في الدراسات الاستشراقية :والهدف منه بيان مطاعن وتحريفات الإستشراق الحديث والمعاصر للسنة ،وشبهاته حولها ،تمكين الطلاب من امتلاك المنهج العلمي الصحيح في الرد عليهم وإبطال مفترياتهم على الإسلام وأهله.

السنة عند الفرق الإسلامية القديمة والمعاصرة كالشيعة والزيدية والإباضية وغيرهم :والهدف منه معرفة موقف الآخرين من غير أهل السنة

ودراسة آرائهم في مصادرنا السنية ومنهجنا في الرواية ،والتعرف على مصادرهم ومنهجهم في الرواية ،قصد تقريب وجهات النظر،وتقليص هوة الخلاف –إن أمكن- أو لتحقيق التعايش السلمي مع من كان الخلاف معهم جذريا.

دراسات موضوعية في السنة:ويشتمل على دراسة أهم القضايا المعاصرة ومعالجتها على ضوء السنة المطهرة ك:

دراسات في الشروح الحديثية القديمة منها والمعاصرة :لمعرفة مناهج تفسير السنة وشرحها الشرح الصحيح الذي يعالج قضايا الأمة وينهض بها.

إضافة إلى منهجية البحث ،واللغة الأجنبية التي لاغنى للباحث عنها أيا كان ميدانه وتخصصه.

ضعف الأستاذ المدرس والمؤطر للبحوث العلمية.وضعف الباحثين وقلة المؤهلين منهم.

من أسباب هذا القصور والنقص الملحوظ في ربط أبحاث السنة بالمحيط ،هو ضعف المدرس ابتداء،إذ لا يخفى عليكم أن الجزائر من الدول – القلائل- التي يسمح فيها- بسبب الحاجة - بالتدريس لحملة الماجستير حدث العهد بالتخرج والمناقشة و الأسوأ أنه يكون محاضرا لطلبة التخصص في غير تخصصه.

إننا في الجزائر نعيش حداثة التجربة في العلوم الإسلامية –إذ أن أقدم كلية للعلوم الإسلامية أنشئت في 1982-وجامعة الامير في 1984و الكل بعد هذا التاريخ فلم يمض ربع قرن على هذه الكليات،والعلم تراكمي،ومع ذلك قطعت شوطا لابأس به ،

وتخصص الكتاب والسنة لا يوجود إلا في جامعة الأمير وكلية العلوم الإسلامية بالجزائر ونظيرتها بباتنة، وعدد الدكاترة على مستوى الوطن في هذا التخصص إلى غاية هذا التاريخ لا يتجاوز 15دكتورا، عدد المحاضرين منهم :6 وعدد أساتذة التعليم العالي منهم ثلاثة فقط ،ومعلوم أن الأستاذ كلما ترقى في

البحث وتقدم في السن نضجت خبرته ،واتسعت رؤيته،وتعددت عطاءاته،وأمثال هؤلاء قليلون جدا في بلدنا،ونحن بقية المختصين في الحديث - وإن كنا نحمل الدكتوراه وحزنا على التأهيل ونحاضر ونشرف ونناقش... لكن أغلبنا شباب مازلنا طلاب علم في بداية الطريق لا نملك الخبرة الكافية ،ولا العلم الواسع الذي تتطلبه المرحلة. ونتيجة لذاك يكون مستوى الطلاب الباحثين لا يحقق الطموحات المرجوة.

ضعف المجلات المحكمة والندوات وعزوفها عن البحوث الجادة.وأسباب أخرى.

إن من من البحوث الحديثية تكلم البحوث المنشورة في المجلات الوطنية المُحكمة ،ولقد قمت بمسح لمجلة الجامعة والكليات الخمس والمخابر فوجدت جل المقالات لا صلة لها بالواقع والمحيط وجلها مغرقة في القضايا تراثية والكثير منها لا نقد فيه ولا إبداع ولا إضافة علمية تكاد تذكر،

والسبب أن الكثير ممن ينشر هذه الأبحاث والمقالات لايجعل خدمة العلم ،ومعالجة مشكلات الأمة هدفا أساسيا له ،بل الهدف من الكتابة والبحث تسوية وضعية إدارية :مناقشة أو تأهيل أو تر قية ،او الحصول على منحة أو....

والذي يشجع على هذا عدم جدية المحكمين أو عدم انتقائهم بدقة ، أو شكلية التحكيم وغيابه رأسا في بعض الأحيان.بسبب العاطفة أو الارتجال أوالسرعة في إخراج العدد لمناسبة من المناسبات.وقل مثل ذلك عن كثير من الندوات والملتقيات.

- **العلاج المقترح:**

- تحسين المقررات الدراسية،وتعديلها دوريا بما يناسب ومستجدات العصر والمصر.
- ترشيد سياسة البحث الشرعي ورسم الأهداف الكبرى له.
- إعداد الباحث إعدادا متكاملا مؤهِلا.

- تفعيل دور المشرفين والمؤطرين للباحثين في مرحلتي الماجستير والدكتوراه.

- الجدية والصرامة العلمية في تقويم مشاريع البحث ،والمذكرات والأطروحات والمقالات للمقدمة للمجلات المحكمة ،والندوات والملتقيات العلمية.

- تفعيل دور الجامعة وربطها بمؤسسات المجتمع المختلفة الحكومية منها والشعبية.

الهوامش:

[1] انظر :السنة النبوية مصدرا للمعرفة والحضارة للدكتور يوسف القرضاوي.

[2] لقد كتبت في بيان هذه القضية مقالا بعنوان:"غياب الأثر الإيجابي للسنة النبوية في المجتمعات الإسلامية –أسبابه وعلاجه-"منشور في مجلة جامعة الأمير عبد القادر العدد 24.

[3] المعطيات إلى سنة 2003مأخوذة من دليل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي إعداد أد/احميدة عميراوي .وباقي المعطيات مأخوذة من سجل الرسائل المناقشة بقسم الكتاب والسنة.